



الشعوبية

نشأتها، وتطورها، وآثارها على الأمة الإسلامية

د. جازي بن بخيت الجهني

أكاديمي سعودي - أستاذ مساعد، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية





ملخص البحث

تناولت الدراسة الشعوبية بوصفها مظهراً من مظاهر العنصرية الهدامة، هدفها زرع مشاعر الحقد والكراهية بين أجناس المسلمين وشعوبهم المختلفة، ومن منطلق النصح والبيان خرجت هذه الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة شملت: حقيقة الشعوبية وأصلها ونشأتها، وبداية ظهورها والأطوار التي مرت بها، والشبهات التي دعم بها دعاة الشعوبية دعواهم، وبيان الحركات المضادة للشعوبية ومنها دعوى العروبية، والفرق بينها وبين تفضيل العرب المشروع .

وشمل البحث أبرز آثار الشعوبية في المجتمع الإسلامي، ومنها أثر الشعوبية على اللغة العربية، وأثرها في نشأة الفرق المنحرفة والمنتسبة للإسلام، وتحالف الشعوبية عبر التاريخ مع أعداء الإسلام ضد المسلمين، وكذلك أثرها في نشر الإلحاد قديماً وحديثاً، وبيان الحكم على الشعوبية ثم ختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات.

كل ذلك بأسلوب مختصر الهدف منه التعريف بالشعوبية، وبيان نشأتها وبعدها التاريخي، والتنبيه على أثرها على الأمة الإسلامية.

د. جازي بن بخيت الجهني

dr.jazi@hotmail.com

Shu'ubiyyah, its Origin, Development and Influence on the Islamic Nation

Dr. Jazi bin Bakhit al-Juhani

Saudi Academic – Assistant Professor, in the Faculty of Da'wah and Theology, in Islamic University in Madinah

Abstract

This research examined Shu'ubiyyah as a destructive racist appearance. Its goal is to plant feelings of hatred and envy amongst Muslim from different communities and with different descent. I divided this research into an introduction, two chapters and an ending. My goal was to give advice and clarify this issue. The research included the following points:

The true essence of Shu'ubiyyah its origins and foundations, the beginning when it started and then developed in different stages, the doubts that the propagandists of Shu'ubiyyah used when they spread their claims, an explanation of the antagonistic movements to Shu'ubiyyah like Arab Nationalism and the difference between it and the legalized preference of the Arabs.

The essay included the most important influences of Shu'ubiyyah on the Islamic community. From these influences are its influence on the Arabic language, its influence on the upbringing of the deviated sects that ascribe themselves to Islam. Shu'ubiyyah also allied itself throughout the history with the enemies of Islam as well as

it had influence in spreading atheism in both ancient and modern time. The essay also explained the ruling for Shu'ubiyyah and was ended with an explanation of the most important results and recommendations of the research.

All of that was done is an easy way with the purpose to present Shu'ubiyyah and explain its origins, history and its influence on the Islamic Nation.

المقدمة

اقتضت حكمة الباري أن يحمل العرب لواء الدعوة الإسلامية، في داخل البلاد العربية وخارجها، وكان الفرس من أوائل الأمم التي اصطدم معها المسلمون العرب، والفرس أمة لها حضارتها ومجدها وتاريخها القديم، وقد أورثها هذا المجد والتاريخ القديم صفات؛ منها ما هو سيّئ مثل الاستعلاء على غيرها من الأمم، وخاصة جيرانهم من العرب، تلك الأمة الأمية التي كانوا ينظرون إليها نظرة دونية، وما لبث أن نهض بها الإسلام لتكون خير الأمم، فكان لها العز والسؤدد والريادة والقيادة، بل إن الله أذل دولة الكفر الفارسية عل أيديهم، وسقطت دولة المجوس في بلاد فارس، وظهرت قواعد الإسلام التي تشهد بالخيرية لمن يدخل في هذا الدِّين الجديد، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال رسول الله ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»(١). من هذه الآيات والأحاديث والآثار الصحيحة الصريحة في الدعوة إلى المساواة بين المسلمين يظهر منهج الإسلام في

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، (برقم:٢٢١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (برقم ٢٩٦٤).

التفاضل بين الناس، على قواعد إسلامية عظيمة لا مثيل لها فيما سبق جعلت التفاضل على أساس التقوى التي تورث العلم والعمل.

بهذه المبادئ الإسلامية السامية عرف العرب أنهم كباقي شعوب وقبائل الأرض، أصلهم واحد ومردهم لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن الفضل والإكرام بتقوى الله تعالى، والعمل بما أمر به جميع العباد، والوقوف عند حدود الله سبحانه وتعالى، إذا أدركنا هذا وأن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة وقواعد الإسلام العامة تنادي بالتسوية بين البشر جميعاً على أسس من العدالة والإنصاف في جميع أمور الحياة الخاصة والعامة، فلا بُدّ من الإشارة هنا إلى أن الحضارة الفارسية قامت على زرع روح الاستعلاء والعصبية العرقية في أفرادها، وأن ما سواهم من البشر دونهم بكثير، بل ينظرون لغيرهم نظرة السادة للعبيد، وأن غيرهم لا حقّ له بحال أن يكون أميراً أو وزيراً، على حد قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤]، لكن لقوة الإسلام، ووحدة صف المسلمين، واجتماع كلمتهم، وكونهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، لم يستطع دعاة الشعوبية الإفصاح عن حقيقة أمرهم وما هم عليه، فبدأ أمرهم بالدعوة إلى التسوية بين العرب وغيرهم، واعتمدوا في دعواهم على النصوص التي تدعو للمساواة ونبذ العصبية، وعلموا أن تلك النصوص تؤيد ما يدعونه، ولا يعارضهم من المسلمين أحد؛ لأن ظاهرها حق يراد به الوصول إلى باطل، واستمر حالهم على هذا مدّة من الزمن يخططون في الخفاء، ويتحينون الفرص لإظهار فكرتهم، وإعلان مرحلة

ظهور الشعوبية، وما لبث أن تطور الحال بسرعة مع بداية قيام الدولة العباسية بسيوف الفرس، فكانوا رجال دولتها وقادتها، ومكنوا لأنفسهم، ولما أمنوا على أنفسهم، عندها ظهر أمرهم، وقامت الشعوبية على ساقها، ونشط دعاتها.

أهمية البحث وأسبابه:

لما كان أثر الشعوبية وخطرها المعاصر ظاهراً جلياً في كثير من الميادين، وقد أُلبست ثياباً مختلفة وأشكالاً وألواناً تضمر العداء للأمة العربية المسلمة تارة، وتظهره تارة أخرى، مرة بالسخرية والاستهزاء من جنس العرب، ووصفهم بأوصاف منفرة[1]، وأخرى بلغتهم العربية ومحاولة الحط من قدرها، وصرف أهلها عنها، وإحلال لغات أمم ولهجات عامية للشعوب محلها، وتارة بذم للعرب مباشرة، وإظهار مثالبهم، وأنهم أعراب يعيشون حياة البداوة في الصحراء، لا مجد لهم ولا حضارة، وادّعاء أنهم أمة قد تولت وفسدت فلا خير فيها البتة، وسيستبدل اللهُ بها غيرَها من الأمم الأخرى، وأُولى تلك الأمم وأحقها بعد تولي العرب هم الفرس، هكذا زعموا! وتارة أخرى بالهجوم على المبادئ والقيم التي كانت قبل الإسلام

(١) أقول: مما جرى مجرى الأمثال في كثير من المجتمعات الإسلامية ويروج له اليوم، ويصب في خدمة الشعوبية والانتصار لها، قولهم: «العرب جرب»، وبلسان العجم: «عرب خيانات»، يعني أن العربي صاحب خيانة، وقولهم عند ضبط المواعيد: «لا يكون وعد عربي»، ويعني أن العرب أهل الكذب وإخلاف الوعد، وقولهم: «العرب أهل الكلام، والعجم أهل الفعال»، يعني أن العرب لا يعملون شيئاً وإنما يتحدثون فقط.

من مكارم العرب التي يعتزون بها.

ومن جملة الأسباب التي دفعتني للكتابة عن الشعوبية وخطرها، عدم معرفة كثير من المسلمين لها ولأثرها السلبي -حتى هذا العصر- على الإسلام والمسلمين، عرباً وعجماً، وأن كثيراً من مصائب الأمة ونكباتها اليوم نتاج الشعوبية الخبيثة، وأن من يعرف الشعوبية على حقيقتها يظهر له جلياً دورها في نشأة الطوائف المخالفة للحق والمنتسبة للإسلام قديماً وحديثاً، وأن الأعداء استغلوا الشعوبية وأفكارها للسعي في تفريق أمة الإسلام، وتحقيق المفاصلة الحسية والمعنوية بين المسلمين العجم وإخوانهم من المسلمين العرب، وإذكاء العنصرية العرقية بين الطرفين، وقد نجحوا نجاحاً جلياً، بل إن الشعوبية المعاصرة في العصر الحديث، أفادت كثيراً من استخدام وسائل الإعلام المفتوحة على العالم، والتي تصل إلى جميع بلاد العالم تقريباً، وسخرتها لخدمة أهدافها، مع وجود دول وحركات وطوائف وأحزاب تدعم الشعوبية وتؤيدها، وتنفخ في نارها لحرق ما تبقى من تماسك أمة الإسلام، وتسعى ليل نهار لفصل العجم المسلمين عن إخوانهم من العرب، وإثارة النعرات العرقية والطائفية بين الأجناس والألوان داخل الأمة الإسلامية الموحدة، مع قلة الدراسات المتجردة للحق والحقيقة عن الشعوبية، وأهمية بيان خطرها، وإظهار حقيقة ما تدعوا إليه، كل هذه الأسباب وغيرها، جعلتني أكتب في هذا الموضوع، وأسأل الله العون والتوفيق والسداد.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات وبحوث حول موضوع الشعوبية يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

۞ رسائل علمية لم تطبع، أو طبع منها عدد محدود لم يكتب له الانتشار وهو حكر على المختصين لا يكاد يعلمه غيرهم.

۞ وأبحاث قدمت لمناسبات مختلفة وهي كالتي قبلها لا يعرفها غير المهتم بمثل هذه البحوث.

۞ وصنف يغلب عليه الطول والتفصيل الذي يأخذ حكم الموسوعات في بعض الأحيان.

ولا يطالعه إلا أصحاب الشأن من الأساتذة الجامعيين وطلاب الدراسات العليا ومن في حكمهم.

۞ وعدد قليل من البحوث والكتابات الشخصية المستقلة التي قدمت وخدمت جانباً أو أكثر للموضوع، وأفاد منها أمثالي ذكرتها في قائمة المصادر.

ومنها على سبيل المثال: كتاب الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليها (لسميرة مختار الليثي) طبع في مصر ١٩٦٨ م.

اشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول: عوامل ظهور الزندقة والشعوبية.

الباب الثاني: حركات الزندقة والشعوبية الثورية.

الباب الثالث: مظاهر الصراع بين الإسلام والعروبة وتيارات الزندقة والشعوبية.

الباب الرابع: انتصار الإسلام والعروبة على الزندقة والشعوبية.

ويشمل تفصيلات كثيرة ودقيقة وجوانب تاريخية وتتبع لحركات الشعوبية عبر التاريخ لا يحتاج إليها إلا المختصون.

وكتاب الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية (لحسن حميد عبيد الغرباوي) طبع ١٩٩٣م في بغداد، لدار الشؤون الثقافية العامة، يشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: نبذة تاريخية عن الشعوبية.

الفصل الثاني: عقائد الشعوبية، وصلتها بالعقائد الباطنية.

الفصل الثالث: أساليب الشعوبية ومظاهرها.

الفصل الرابع: أهداف الشعوبية الهدمية.

وكما هو واضح من فصول الكتاب تغلب عليه النزعة التاريخية وصلة الشعوبية بعقائد الباطنية

منهج البحث:

المنهج الذي سرت عليه هو المنهج الوصفي التحليلي، والذي يقوم على استقراء وجمع المادة العلمية من مصادرها ووصفها وتحليلها، وقد

قسمت الدراسة إلى فصول ومباحث وفق خطة البحث، مع الحرص على التأصيل والاستشهاد، وقد يتكرر النص في أكثر من مبحث؛ لأن فيه شواهدَ ومادّةً تقتضي ذلك التكرار. وقامت الدراسة بتحليل بعض النصوص والتعليق عليها حسب ما يتطلبه البحث، ولبيان الهدف والقصد من إيرادها في هذا الموضع أو ذلك، وأظهرت وجهة نظري في بعض المواضع وما أميل إليه من الأقوال، وأشرت إلى ذلك بإشارة توضحه.

خطة البحث:

خرجت هذه الدراسة في مقدمة وفصلين وخاتمة:

المقدمة: اشتملت على أهمية البحث وأسباب اختياره والمنهج الذي أسير عليه وخطته.

الفصل الأول: حقيقة الشعوبية وأصلها ونشأتها وشبهاتها، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الشعوبية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: جذور الشعوبية وبداية ظهورها.

المبحث الثالث: نشأتها والأطوار التي مرت بها.

المبحث الرابع: الشبهات التي دعم بها الشعوبية دعواهم.

المبحث الخامس: العروبية وبيان فضل العرب.

الفصل الثاني: أبرز آثار الشعوبية في المجتمع الإسلامي، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الشعوبية وأثرها في اللغة العربية.

المبحث الثاني: الشعوبية وأثرها في نشأة الفرق المنتسبة للإسلام.

المبحث الثالث: تحالف الشعوبية مع أعداء الإسلام.

المبحث الرابع: الشعوبية وأثرها في نشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي.

المبحث الخامس: الحكم على الشعوبية.

الخاتمة: وتشمل أهم التوصيات والنتائج.



الفصل الأول

حقيقة الشعوبية وأصلها ونشأتها وشبهاتها

ويشتمل على خمسة مباحث:

- **المبحث الأول**: تعريف الشعوبية في اللغة والاصطلاح.
- **المبحث الثاني**: جذور الشعوبية وبداية ظهورها.
- **المبحث الثالث**: نشأة الشعوبية والأطوار التي مرت بها.
- **المبحث الرابع**: الشبهات التي دعم بها الشعوبية دعواهم.
- **المبحث الخامس**: العروبية وبيان فضل العرب.

المبحث الأول

تعريف الشعوبية في اللغة والاصطلاح

الشعوبية في اللغة مشتقة من الشَّعْب، والشعب: ما تشعب من قبائل العرب والعجم، وقد غلبت الشعوب، بلفظ الجمع على جيل العجم، حتى قيل لمحتقر أمر العرب: شعوبي، والشعوبي: هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى فضلاً لهم على غيرهم[1]، وجاء في القاموس المحيط: «الشعوبي: محتقر أمر العرب»[2]، والشعوبية: نزعة تذهب إلى حط شأن العرب أو

(١) لسان العرب، (مادة: ش ع ب).

(٢) القاموس المحيط، (مادة: ش ع ب).

نقدهم، وأن العرب أحقر من غيرهم من الأمم[١]، والشعوبية فرقة تتعصب على العرب وتحتقرها، قال عنها القرطبي: «هي حركة تبغض العرب وتفضل العجم»[٢]، وجاء في الصحاح: «الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم»[٣]، وفي المعجم الوسيط: «الشعوبية: نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحط منهم»[٤].

وفي الاصطلاح يدور تعريف الشعوبية حول ما ذكر في أصل التسمية للشعوبية وإن اختلفت وتعددت ألفاظه وجمله فمعناها ينتهي إلى: الحط من قدر العرب للوصول إلى هدم الإسلام. والشعوبيون: قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم، ظهرت دعوتهم بعد عصر الخلفاء بدخول أجيال كثيرة من الفرس والترك والنبط في خدمة الدولة الإسلامية، ونحن اليوم نطلق لفظ الشعوبية على كل من ناهضوا المسلمين العرب في القديم والحديث، وفي الشرق والغرب، وقاموا يتنقّصون من قدر حضارتهم وتاريخهم؛ لأغراض في نفوسهم لا تخفى على أرباب البصائر[٥]، يقول

(١) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ، ٣/ ١٤، تحقيق عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي: مصر، ١٩٧٥م، وضحى الإسلام، لأحمد أمين، ١/ ٩٧، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو محمد بن أبي بر الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية ،ط٢ ، ١٣٨٤ هـ ،١١/ ١٨٩.

(٣) الصحاح، (مادة: ش ع ب).

(٤) المعجم الوسيط، (مادة: ش ع ب).

(٥) الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٣٥، ٣٦،كرد علي، دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.

الدكتور عبد العزيز الدوري: «مفهوم الشعوبية شديد التعقيد، وإن الحركات السرية التي تتظاهر بالإسلام وتعمل على هدم السلطان العربي الإسلامي، أو على هدم الإسلام، أو الاتجاهات التي تحاول نسف الإسلام والعرب من الداخل = هي التي يمكن أن يطلق عليها اسم الشعوبية»(١)، وللإنصاف أذكر أن الشعوبية نزعة ظهرت في أوساط غير العرب وكانوا من شعوب مختلفة، ولكن أكثرهم كانوا من الفرس.

المبحث الثاني

جذور الشعوبية وبداية ظهورها

أدرك أعداء الأمة الإسلامية في وقت مبكر السر الأعظم في قوة هذه الأمة، وأن العقيدة الصحيحة هي التي جعلت من المجتمع الإسلامي جسداً واحداً، «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢)، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، فبدأ الكيد في وقت مبكر؛ سعيًا لزرع جذور الفرقة والاختلاف والبغضاء بين الأجناس والأمم التي مزج بينها رباط العقيدة الواحدة، وجعلها تتجانس وتتآلف برباط التوحيد الخالص، تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

والذي أميل إليه من آراء الباحثين المختلفة حول الجذور والأصل

---

(١) الجذور التاريخية للشعوبية، ص١٢، عبد العزيز الدوري، بيروت: ١٩٦٢م.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٠١١، وفتح الباري، ١٠/ ٤٨٩، وصحيح مسلم (كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين)، برقم ٢٥٨٦.

للشعوبية، أنها تعود إلى بدايات الفتوحات الإسلامية، وتقويض جيوش الإسلام لعروش الممالك القديمة بأيدي قادة الإسلام الأوائل من الجزيرة العربية، وقد عزّ على كثير من أبناء تلك الممالك ذهاب ملكهم ومجدهم على أيدي من كانوا لا يعرفون من تلك الحضارات إلا ما يأذن به أهل تلك الممالك لهذه الأمة الأمية، وأنه لا بُدّ من التفريق بين وجود جذور الفكر وظهوره، فالجذور التي نبتت عليها الشعوبية كانت في نفوس جماعات وأفراد زنادقة دخلوا في المجتمع واستغلوا سماحة الإسلام وأخلاق ومكارم العرب الأخيار؛ لبث أفكار تحمل في طياتها ما يمكن أن يُسمى جذور الشعوبية الأولى، وأنا مع من يرى أن حادثة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مثالٌ واضحٌ لوجود جذور الشعوبية في وقت مبكر(١)، ووجود مثل عبد الله بن سبأ(٢)، وظهور ما يعرف بالسبئية، وقيامهم بتلك الأعمال التي يمكن أن يطلق عليها في هذا العصر مصطلح (المظاهرات)، وينادي بها بعض المنتسبين للجماعات الفكرية المعاصرة، ويغرر بعامة الناس وجُهالهم؛ لتُحقق بهم المقاصد.

---

(١) انظر: الآثار المؤيدة لهذا في فتح الباري شرح صحيح البخاري، في قصة استشهاده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتفاصيل الحادثة بأسانيد معتبرة، انظر: ٧/ ٦٣ – ٦٤، و١٢/ ٢٨٣ – ٢٩١.

(٢) ابن سبأ: عبد الله بن سبأ اليهودي، ويقال: ابن السوداء، أظهر الإسلام زمن خلافة عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتنسب إليه طائفة السبئية، انظر ترجمته في: كتاب فرق الشيعة، للنوبختي الرافضي، ص٢٢ – ٢٣، دار الأضواء: بيروت، ١٤٠٤هـ، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ١/ ٥٢، ط: دار الندوة العالمية للطباعة. ١٤٣٥هـ.

والعاقل إذا نظر بعين المنصف المتجرد للحق، يرى آثار تلك الأعمال الخبيثة، وما نتج عنها من قتل ثالث الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما أعقب ذلك من تفرق الأمة، وانشغالها عن غيرها بنفسها، ولا شك أن هذا من أعظم ما تسعى إليه الشعوبية قديماً وحديثاً، وما أشبه الليلة بالبارحة.

يقول الجاحظ[1] وهو يصور لنا بداية الشعوبية وما تنتهي إليه: «إن عامة من ارتاب في الإسلام كانت الشعوبية أساس ارتيابهم، فلا تزال الشعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع حتى انسلخوا من الإسلام؛ لأنه نزل على نبي عربي وكان العرب حملة لوائه عندما نزل»[2]، فيذكر هنا أساس ارتيابهم، وجذورهم الأولى، ثم التنقل من وضع إلى وضع، في إشارة إلى المراحل والأطوار التي مرت بها الشعوبية، وبهذا يظهر أن منشأ الشعوبية الحقد والحسد الذي أضمره دعاتها العرب المسلمين، وقد كان الفرس من أوائل من دخل الإسلام من غير العرب، وشاركهم الحقد اليهود والنصارى من العجم والعرب، جمع بينهم رابط الرغبة المشتركة في القضاء على

---

(١) الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب، المكنى بأبي عثمان، والملقب بالجاحظ، كان خصماً من خصوم الشعوبية تصدى لها كما تصدى لغيرها من طوائف الزنادقة، وهو أحد كبار رجال المعتزلة، وإمامٌ من أئمتها، وتنسب إليه طائفة الجاحظية من المعتزلة، انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ص٧٥ - ٧٦، ط: دار الفكر: بيروت، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل.

(٢) كتاب الحيوان، للجاحظ، ٧/ ١٣١، ط: دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٣٤هـ.

الإسلام، أو تفريق المسلمين إلى طوائف وأحزاب وشغل بعضهم ببعض، وقد تحقق لهم ما أرادوا، ومازالوا يطمعون بالمزيد، وتدثر دعاة الشعوبية بثياب حب أهل البيت النبوي، والمطالبة بتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية لجميع مكونات الأمة من العرب والشعوب والقوميات والأعراق الأخرى، ومازالوا يدندنون ويضربون على هذا متى ما وجدوا فرصة، حتى هذا العصر[١]، هكذا كانت البدايات الأولى لجذور الشعوبية.

المبحث الثالث

نشأة الشعوبية والأطوار التي مرت بها

❑ إعلان الشعوبية:

يمكن أن نعتبر بداية إعلان الشعوبية عن نفسها، وإظهارها لحقيقتها، مع بدايات قيام الخلافة العباسية، مع التأكيد على أن جذورها تعود إلى عصر الفتوحات الإسلامية الأولى، وأيام الخلافة الراشدة، وهنا أشير إلى أن الشعوبية حاولت أن تتدثر بثوب حبّ أهل البيت من بداياتها، وتستر عداءَها للإسلام والمسلمين بغطاء الولاء لأهل بيت النبوة، ولكي تزيد الهوة بين أجناس المسلمين من العرب والعجم وتشتد الفرقة ويظهر الاختلاف، عمد هؤلاء إلى خلط أفكار الشعوبية مع عقائد إسلامية، بطريقة تجعل من العسير

---

(١) وشاهده ما يثار بين فترة وأخرى شعراً ونثراً، عبر الصحف ووسائل التواصل والقنوات الفضائية، من النفخ في رماد العصبية العرقية والمناطقية والمذهبية والقبلية.

تخليص بعضها من بعض، ومن ذلك الغلو، وتقديس الأشخاص والتراب والطينة، وغير ذلك من الأمور التي أصبحت ضمن عقائد الشعوبية الرافضة ومن وافقهم من طوائف الباطنية، بل جعلوها من أسس الإيمان التي لا يتحقق وجوده إلا معها وبها.

الأسباب التي دعت لاعتبار قيام الدولة العباسية بداية ظهور الشعوبية:

لعل من أبرز الأسباب أن دولة بني العباس قامت بسيوف فارس، فهم القادة ورجال الفكر فيها، ويمكن القول: إن الفرس تولوا جميع مجالات التفوق، وأصبح الخلفاء يعترفون لهم بالفضل، فكان منهم الوزراء، والقادة، والسفراء، والعلماء، والأدباء، ومن هنا بدأ أبناء فارس إظهار الاعتداد بحضارتهم القديمة ومجدهم البائد، وصاروا يعلنون التسامي والاستعلاء فوق الجنس العربي بكل جرأة وثقة، فألفوا الكتب التي تبرز فضائل الفرس، ومن هذه الكتب على سبيل المثال:

١- كتاب فضائل الفرس(١).

٢- كتاب فضل العجم على العرب(٢).

---

(١) لمعمر بن المثنى التيمي، مولاهم أبو عبيدة البصري، من أئمة العلم والأدب واللغة، كان إباضياً شعوبياً، يبغض العرب ويصنف في مثالبهم كتباً، ولد في البصرة ١١٠ هـ، وتوفي بها سنة ٢٠٩ هـ، أنظر: سير أعلام النبلاء، ٩/ ٤٤٥ – ٤٤٧، وميزان الاعتدال، للذهبي ٤/ ١٥٥، والأعلام، للزركلي ٧/ ٢٧٢.

(٢) لسعيد بن حميد بن البختكان، ويكنى بأبي عثمان الفارسي، كان متكلماً فصيحاً، وكان =

٣- كتاب مثالب العرب وعيوب الإسلام[١].

❐ مراحل الشعوبية:

مرت الشعوبية بطورين رئيسين؛ الطور الأول: الوجود، والطور الثاني: الظهور، وينقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة خفية غير ظاهرة المعالم والأهداف، لا يعرفها على حقيقتها إلا العلماء أهل الاستنباط والنظر، ظاهرها في هذه المرحلة الدعوة للتسوية بين المسلمين؛ عربًا وعجمًا، لا تفاضل بينهم في الأحساب والأنساب والأجناس، مع حرصهم في هذه المرحلة على إثارة نفوس الموالي بطريقة خفيَّة على جنس العرب المسلمين، وبعث الشعور بالدونية في أوساط الموالي، وأن العرب يميزون أنفسهم عن بقية أجناس المسلمين، وإثارة بعض أمور الحمية والعصبية الجاهلية في نفوس من أسلم من العرب، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم[٢]، مثل الفخر في الأحساب، والطعن في

=

شديد العصبية على العرب، وله كتب في ذلك، انظر: الفهرست، ص١٥٦.

(١) ليونس بن محمد بن كيسان، الملقب بأبي فروة، وكان جده أبو فروة مولى للخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد كان يونس متزندقًا خبيثًا، خالط ابن المقفع وبشار بن برد وحماد عجرد وغيرهم ممن اتهموا بالزندقة، عمل يونس كتابه في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وأهداه إلى ملك الروم فأخذ عليه مالاً، وتوفي هذا الزنديق نحو ١٥٠هـ، انظر: الوزراء والكتاب، ص١٣٠، والأعلام، للزركلي، ٨/ ٢٦٣.

(٢) انظر: العواصم من القواصم، ص٤٦ – ٤٧، وتعليق محب الدين الخطيب، ص٤٥،
=

الأنساب، وإظهار الاعتداد بمآثر الآباء والأجداد من أهل الجاهلية الأولى، شعراً ونثراً. ولما وقع هؤلاء في حبائل الشعوبية، استغل دعاة الشعوبية هذا الخطأ وأظهروا الرد على هؤلاء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والنثر، الدالة على أن الفضل في الإسلام والإكرام بتقوى الله، وآيات وأحاديث أخرى توهموا أن فيها ذم العرب مثل قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٧]، وأدخلوا آيات وأحاديث أخرى في ثنايا الرد على المتعصبين للجنس العربي، وردت في شأن المنافقين من الأعراب وغيرهم، وأنزلوها على عموم المسلمين من العرب، وزعموا أنها نزلت في شأن العرب، مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومن الأحاديث النبوية قوله ﷺ: «لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى»(١)، وهم يؤكدون على أمر التسوية بين الناس، المبدأ الذي عرفه أهل الإسلام عامة وخاصة ولا ينكره أحد من المسلمين، والحقيقة أنها كلمة حقٍ أريد بها باطل، بهذه الطريقة الخبيثة بدأت الشعوبية مرحلتها الأولى -التي ظاهرها حق وباطنها باطل- في المجتمع الإسلامي.

=

هامش٧، وص ٤٦، هامش ١، ط: دار الكتب العلمية: بيروت.

(١) صحيح الترغيب – برقم: ٢٩٦٤.

المرحلة الثانية: دعوة صريحة للشعوبية وإعلان لتفضيل العجم على العرب كما سبق ذكره، فقد قام فكر الشعوبية على احتقار العرب والانتقاص لهم، واستغل دعاتها بعض أمور الجاهلية التي كانت سائدة في العرب قبل الإسلام، وكانت نزعة الشعوبية موجودة في بعض أجناس العجم، إلا أنها كانت قوية ظاهرة في الفرس أكثر من غيرهم، فزوال ملكهم وذهاب هيبتهم ومحو معالم ديانتهم المجوسية حرك دعاة الشعوبية من الفرس للعمل الجاد ضد الإسلام والمسلمين العرب، ولم تكن معركتهم في هذه المرحلة سرية، بل صارت علنية ظاهرة، تؤلف لها الكتب كما سبق، ويعلن دعاتها ذلك.

مثال ذلك: (علّان) الشعوبي الذي أظهر شعوبيته ولم يسترها وأصبح يناظر لأجلها ويؤلف، يقول عنه ابن النديم: «وهو علّان الشعوبي أصله من الفرس، وكان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب والمناظرات منقطعاً إلى البرامكة[1]، ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، عمل كتاب (الميدان في المثالب) الذي هتك العرب وأظهر مثالبها، وكان عمل كتاباً لم يتمه أسماه الحلية، انقرض أثره»[2].

وهنا أشير إلى أن المجتمع الفارسي قبل الإسلام كثرت فيه الديانات

(١) البرامكة: أو كما يسمون بالفارسية (برميكان) هم عائلة ترجع أصولها إلى برمك المجوسي، كانت لهم منزلة عالية في الدولة العباسية، ثم نكبوا على يد هارون الرشيد، انظر: البداية والنهاية، ١٠/ ١٩٦ - ٢٠٠، ط: دار الكتب العلمية: بيروت: الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٢) الفهرست، لابن النديم، ص٤٧٢.

والمذاهب المختلفة، ولم تكن المجوسية هي الديانة الوحيدة التي يتدين بها أهل بلاد فارس وما حولها، بل كانت توجد عقيدة الثنوية، مثل: (الزرادشتية[١]، والماسونية[٢] والمزدكية[٣])[٤]، فزوال الملك الفارسي وزوال التعددية الدينية، بدعوة الإسلام والتوحيد الخالص، أثار هؤلاء جميعاً للتحرك السريع في محاولة جادة وقوية للتصدي لهذا الدين الجديد، واستعمال كل ما أمكن من الحيل والوسائل والخبرات التي ورثوها عن أهل الديانات السابقة في محاولة فض المجتمع الإسلامي، وإغراقه أو إفساده من

---

(١) الزرادشتية: أصحاب زرادشت، الذي ظهر زمان كشتاسب بن الهراست الملك، أبوه من أذربيجان، وأمه من الري، يزعمون أن لهم أنبياء وملوكاً، أولهم كيومرت، وكان أول من ملك الأرض، والصابئة طائفة منهم، انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق الوكيل، ص٢٣٧ – ٢٤٥.

(٢) الماسونية: معناها البناؤون الأحرار، وهي منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية، غامضة، محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد، تحت شعارات خدّاعة؛ مثل: حرية، إخاء، مساواة، إنسانية، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٣) المزدكية: أصحاب مزدك، ومزدك هو الذي ظهر أيام قباذ والد أنوشروان، ودعا قباذ إلى مذهبه، فأجابه، واطّلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله، أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركاء فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء، انظر: الملل والنحل، ص٢٥٠.

(٤) انظر: الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، عبد الله سلوم السامرائي، المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة.

الداخل، وما زالوا يعملون ليل نهار لبلوغ أقصى ما يمكن في هذا الميدان، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، فهذه البشرى من العليم الخبير بظهور دينه على الدين كله، رغم كيد الكائدين وحسد الحاسدين، تبقي الأمل في نفوس المؤمنين، وأن الله ناصر دينه ومعزه بحول الله وقوته.

المبحث الرابع

الشبهات التي دعم بها الشعوبية دعواهم

تتستر الشعوبية بالإسلام ودعوى حب أهل بيت النبوة، واستدلوا في دعواهم بالآيات والأحاديث(١) التي اعتقدوا أنه يمكنهم تأويلها بطريقة تخدم فكرهم وأهدافهم، منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، يقول ابن قتيبة: بلغني أن رجلاً من العجم احتج بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾، قال [أي الرَّجُل]: «الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والـمُقدم أفضل من المُؤخر»(٢)، وبهذا يظهر جلياً أن الشعوبية في

(١) انظر: ص١، وص ١٣ من هذا البحث.

(٢) الشعوبية المعاصرة، جهاد الفاضل، ص١٣.

بادئ أمرها كانت تنادي بالتسوية بين العجم والعرب، ثم تطور شأنها وأظهرت احتقار العرب والحط من شأنهم، وكانوا يرددون مع آية الحجرات بعض الآيات الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وذلك في كل مناسبة يُذكر فيها نسبة محمد ﷺ إلى قومه العرب، ويدعمون احتجاجهم هذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وبقوله جلّ شأنه: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥]، بهذا يتبين أن الشعوبية قد استغلت آيات القرآن استغلالاً واسعاً ووضعت أفكارها وآرائها المنحرفة على أسس تأويل تلك الآيات وأمثالها تأويلاً فاسداً، يخدم أهدافها وينسجم مع أفكارها[1]، واعتمادهم على نصوص القرآن والسنة كان حيلة قرروا تنفيذها على مراحل حسب ما تمليه الأوضاع السياسية والاجتماعية، وقد أدرك العلماء منذ وقت مبكر ما تهدف إليه الشعوبية، وما تريد أن تصل إليه في آخر المطاف، فكانوا بالمرصاد لصد هذه النزعة الخبيثة، وكشف حقيقتها والتنبيه على خطرها.

---

(١) انظر: الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، ص٢٩، والشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة، ص١٣٨، لحسن حميد الغرباوي، ط: دار الشؤون الثقافية: بغداد، ١٩٩٣م.

وشأن الشعوبية في هذا شأن بقية الفرق الضالة، من الخوارج، والقدرية، والرافضة، والزنادقة، والدهرية، والمرجئة، الذين يسوقون من آيات القرآن الكريم ما يظنون أنه يوافق آرائهم ويخدم أهدافهم لا بالعكس، ثم إن الآيات القرآنية التي استدل بها الشعوبية لم تُنزل لاحتقار العرب، بل هي لبيان الحال التي يجب أن تكون عليها أمة الإسلام من العرب والعجم فيما بينهم، وأن أصلهم الذي يرجعون إليه في الحقيقة واحد، والغرض من خلقهم جميعًا، وما يؤول إليه أمرهم جميعا في الدنيا والآخرة واحد، ومعلوم أن الآيات القرآنية التي زعم الشعوبيون أنها أدلة لهم على ما ذهبوا إليه من ذم العرب واحتقارهم لا دليل لهم فيها، بل يصدق عليهم في تأويلهم الفاسد قول الحق تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقد خالفوا فيها كل منقول ومعقول عن السلف الصالح.

المبحث الخامس

العروبية وبيان فضل العرب

❑ العروبية:

قبل الحديث عن فضل العرب ومكانتهم، أشير هنا إلى حركة تمييز مضادة للشعوبية أسهمت أيضًا في إذكاء نار النزعة الشعوبية، وإشعالها في أوساط غير العرب، وهي ما يسمى بالعروبية، وهي حركة خبيثة منتنة يندر أن يشار إليها وتقوم على التعصب للعرب، ظهرت بوادرها في وقت مبكر مع بداية ظهور الإسلام، وحرص رسول الله ﷺ على إخمادها في مهدها،

وحذر منها، وأمر بتركها لما سمع ببوادرها بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، لما قال أحدهم: يا للمهاجرين، وقال الآخر: يا للأنصار، فقال ﷺ: «أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة»[١]، وقال لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[٢]، لما قال لرجل: «يا ابن السوداء»، وهذه شهادة سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وخبره أنها من دعوى الجاهلية، ولا تزال في الأمة حتى قرب قيام الساعة، ومن مظاهرها الفخر في الأنساب والطعن في الأحساب[٣].

خمدت نار العروبية والتعصب للجنس العربي زمن قوة وتماسك المجتمع الإسلامي والخلافة الراشدة خلافة النبوة، لكن الشعوبية دعاة الفتنة نفخوا في رمادها وأحيوا جذوتها بطريقة خبيثة تنطلي على الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، فأثاروا فيهم حميّة الجاهلية فصاروا إلى تمجيد العرب بالحق والباطل وغلوٍّ في هذا الباب، يدفعهم ظاهراً وباطناً الشعوبيون؛ لإظهار العرب بصورة المتعصبين لأبناء جنسهم وجلدتهم، فيتمسك العجم بالشعوبية وينتصرون لها مقابل العروبية التي تأكدت لديهم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، برقم ٣٣٣٠، وتفسير ابن كثير، سورة آل عمران، الآية ١٠٣، ٢/ ٧٤ ط دار الشعب.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري، ٥/ ١٧٣، ١٧٤، برقم ٢٥٤٥، وأطرافه وتخريجه في الفتح، ٥/ ١٧٤.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله، ص٣٩٧ – ٣٩٨، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض.

بمثل هذه الأساليب الخبيثة، ووجود طائفة من جهلة المسلمين العرب وأصحاب المآرب الأخرى، مثل: الثأر، وطلب الزعامة، والسعي لمكاسب دنيوية، كانوا سبباً في تثبيت دعائمها في الأمة، ولم تزل العروبية تثور وتخبوا على مر التاريخ الإسلامي، وفي العصر الحديث يمكن اعتبار دعوى القومية العربية امتداداً تسلسلياً لها على قاعدة لكل قوم وارث، ولما كان البحث في الشعوبية ناسب أن تذكر العروبية؛ إشارةً لخطرها أيضاً على وحدة الأمة الإسلامية، وأنها معول هدم لا يقام عليها مجد ولا عز.

❑ بيان فضل العرب:

من أعظم ما منّ الله به على الأمة العربية أن جعل منها وفيها خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر»(١)، ولقوله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٢) ولقوله ﷺ: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمُهم تبع لمسلِمِهم، وكافرهم تبعٌ لكافرِهم، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(٣)، «والذي عليه اعتقاد أهل السنة

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، برقم (٣١٤٨)، ٥/ ٢٨٨، وكتاب المناقب برقم (٣٦١٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل النبي ﷺ، برقم ٢٢٧٦، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، برقم ٣٦٠٥، بتحقيق أحمد شاكر، ٥/ ٥٤٤، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٣) صحيح البخاري، مع فتح الباري، كتاب المناقب، باب قوله تعالى في الحجرات الآية =

والجماعة أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، وأن قريشًا أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم، فهو أفضل الخلق أجمعين، وأشرفهم نسبًا وحسبًا، وعلى ذلك درج السلف والخلف»[1].

وإذا علمت هذا، فاعلم أن الذي يرجع إليه ويعول عليه الفضل والشرف، هو الكسب الذي يورث العلم، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ويقود إلى تقوى الله ومخافته، وهو الفضل الحقيقي، لا مجرد الشرف الذاتي الذي هو شرف النسب، ومن الجهل الواضح الذي يورث الغرور والحمق الفاضح أن يفتخر أحد من العرب على أحد من العجم بمجرد نسبه أو حسبه، ومن فعل ذلك فإنه مخطئ جاهل مغرور، فهذا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بلغ من الفضل المقصود ما لم يبلغه أحد من العرب من أقرانه وأهل زمانه ومن كان بعدهم من أهل العلم والفضل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وبهذا يتضح أن من قال من أهل العلم بتفضيل العرب إنما هو بضميمةٍ أُخرى، وهي التقوى أما مجرد النسب فلا يفضل به أحد.

ومن فضل الله على العرب أن أناط بالمسلمين العرب مسؤولية تبليغ رسالة الإسلام الخالدة، فكانوا مادة الإسلام ومدده، فتح الله بهم قلوب

=

١٣، برقم ٣٤٩٥، ج٦/ ٥٢٦.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٠٧.

العباد والبلاد، فدخل الناس في دين الله أفواجاً بسببهم وعلى أيديهم، وما حصل لهم من الخيرية بالإسلام عملاً به ودعوة إليه، جعلهم أمة قدوة، وكان العرب يتحلون بأخلاق كريمة وخصال عظيمة، أتمها الله بالإسلام، ففي الحديث: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(١)، ومن فضل الله أن جعل الخلافة والإمامة فيهم وخص بها قريشاً، والناس تبعٌ لهم، فقال ﷺ: «الأئمة من قريش»(٢)، وقريش أوسط العرب كما هو معلوم من الآثار الواردة في شأن العرب وفضلهم، فما كان للعرب من الفضل والعزة والإكرام، فبسبب الإسلام؛ لما هو معروف من حالهم قبل ذلك، فإنهم كانوا أمةً أميّة، أعزها الله بهذا الدين، ومن طلب العزة بغيره ذل(٣)، وما أشرت إليه في هذا المبحث من فضائل العرب هو لبيان معتقد أهل السنة والجماعة في مقابل معتقد المخالفين لهم وعلى رأسهم الشعوبية، وما ثبت من الفضل والإكرام للعرب، يثبت لمن كان كذلك، ويتكلم بالعربية، وإن كان أصله فارسياً، وينتفي ذلك الفضل عمن لم يكن كذلك، وإن كان من العرب الأقحاح، وإن كان أصله من بني هاشم، فالعبرة عندنا بعربية اللسان، وولائه للإسلام.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى في الحجرات الآية ١٣، رقم ٣٤٩٥، ج٦، ص٥٢٦.

(٢) الحديث في مسند الطيالسي، برقم ٩٢٦، عن أبي برزة، وبرقم ٢١٣٣، عن انس، ط دار المعرفة: بيروت، وانظر: هامش ٢٨، العواصم، ص٦١.

(٣) انظر: هامش ٢٨ العواصم ص٦١.

الفصل الثاني

أبرز آثار الشعوبية في المجتمع الإسلامي

ويشتمل على خمسة مباحث:

- **المبحث الأول**: الشعوبية وأثرها في اللغة العربية.
- **المبحث الثاني**: الشعوبية وأثرها في نشأة الفرق المنتسبة للإسلام.
- **المبحث الثالث**: تحالف الشعوبية مع أعداء الإسلام.
- **المبحث الرابع**: الشعوبية وأثرها في نشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي.
- **المبحث الخامس**: الحكم على الشعوبية.

المبحث الأول

الشعوبية وأثرها على اللغة العربية

مما لاشك فيه أن الشعوبية سلكت سبلاً عديدة بين ظاهر ومستور، وكلها لها أثرها وخطرها، فهي تريد أن تربك العقائد وتخلط وتشوه المفاهيم الإسلامية؛ لتزعزع المجتمع، فدخلت تارة باسم العقل والمنطق لتأويل معاني النصوص الشرعية، وقلب المفاهيم الإسلامية، بتأويلات تخرجها عن معانيها الصحيحة إلى مفاهيم غريبة بعيدة عن الإسلام[1]،

---

(١) انظر: الشعوبية المعاصرة، جهاد الفاضل، ص١٦.

فكانت الشعوبية امتحاناً قوياً للعقيدة الإسلامية في قلوب الفرس، وفي هذا يقول الجاحظ: «وربما كانت العداوة من جهة العصبية، فإن عامة من ارتاب في الإسلام إنما كان ذلك رأي الشعوبية والتمادي وطول الجدال المؤدي إلى القتال، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال تلك الحالات تنتقل به حتى ينسلخ عن الإسلام، إذا كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف»[1]. بمثل هذا الفهم الذي أشار إليه الجاحظ هاجمت الشعوبية اللغة العربية هجوماً مركزاً، مستخدمة مختلف الأساليب؛ لأن العربية أصبحت لغة الدولة الإسلامية الاجتماعية والسياسية والثقافية، فقامت الشعوبية بإظهار مزايا اللغات الأخرى، وبخاصة الفارسية، فبدأ إبراز الأدب الشعوبي الفارسي، فاشتهر العديد من الأدباء الشعوبيين الذين مجدوا تراث المجوس ودولتهم، وتفاخروا به على العرب، بل وأظهروا السخرية من الجنس العربي ونشروا مثالب العرب وحطوا من قدرهم، وكانت روح الاستعلاء جلية عند هؤلاء الأدباء الفرس، ومنهم على سبيل المثال: مهيار الديلمي[2]، الذي ألف كتاباً مشهوراً أسماه

---

(١) البيان والتبيين، ٣/ ١٤.

(٢) مهيار بن مزرويه الديلمي، كاتب وشاعر فارسي، كان مجوسياً فاسلم، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي، توفي سنة ٤٢٨ه، ولكن وصفه للنار وتعظيمه لها يظهر ميله إلى دينه القديم، نقلاً عن كتاب الشعوبية والأدب، خليل جفال، ص٢٧٥، ط:١، بيروت: دار النضال، ١٩٨٦م.

(الشاهنامة)[(١)]، وهذا الكتاب من أهم أدبيات الشعوبية قديمـاً وحديثـاً، ومن شعره الذي يتفاخر بآبائه عُباد الأوثان ويرفعهم فوق كـل النـاس ويـرى أن لا يدانيهم أحد قوله:

لا تَخـالي نسـباً يخفضُـني	أنا من يرضيكِ عند النسبِ
قوميَ استولوا على الدَّهرِ فتى	ومشَوا فوقَ رؤوسِ الشُّهُبِ
عمَّمـوا بالشـمسِ هامـاتهم	وبنـوا أبيـاتَهم في الشُّـهُبِ
وأبـي كسـرى علـى إيوانـهِ	أينَ في النـاس أبـاً مثـل أبـي

هكذا سخّرت الشعوبية الأدب والأدباء لزرع بذور العنصرية والكراهية في نفوس العجم تجاه العرب خاصةً والإسلام عامة، وكـان الشعر والأدب القصصي أهم وسائل نشر الفكر المستخدمة وأسهلها مـن ذلـك اليـوم وإلـى اليوم، وما نلمسه في هذا العصر من الصدود عن اللغة العربية، والخجـل مـن التحدث بها، وعدم الرغبة في تعلمها، واستخدامها لغـة خطـاب في المحافـل والمناسـبات، والسـخرية ممـن يـتكلم باللغـة العربيـة الفصـحى، أو يـدعوا للحفاظ عليها = هو من ثمار الشعوبية.

وبرزت محاولات جادة لخلط العربيـة بلغـات أخـرى، وإدخـال كلمـات

---

(١) الشاهنامة: تعني ملك الكتب، وطبع بترجمة الفتح بن علي البنداري، بتحقيـق وتقـديم د. عبـد الوهـاب عـزام، مـن منشـورات لجنـة التـأليف والترجمـة: القاهرة، ١٩٣٢م، وجلّـه وضـع في شـتم العـرب، ويمتـدح فيـه محاولـة كسـرى فـارس قتـل سـفير رسـول الله ﷺ، الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعبارات غير عربية، واستعمالها بديلاً عن ما يرادفها من العربية، ومحاولة إحلال اللهجات المحلية والعامية محلها، كل هذا وغيره كثير من ثمرات الشعوبية الخبيثة ضد لغة القرآن والإسلام، وإن ما يعرف بمشروع الحداثة في هذا العصر، يمكن أن يقال في شأنه إنه خلاصة سموم هذا الفكر الشعوبي الإلحادي وامتداداً للماسونية والعلمانية والليبرالية والماركسية الشيوعية والرافضة والباطنية والصوفية وغيرها من الأفكار التي يجمعها ويوحدها الإلحاد ومحاربة الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، وإن الدعوات القائمة على هدم ميراث الأمة، من الهجوم على القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الأمة كاملاً، ومحاولة نقض الأدب الإسلامي أو إفساده وهدم العمود الشعري، وتمجيد الطلاسم الشعرية التي تفوح منها رائحة الباطنية النتنة، والدعوة للمجون والتحلل من القيم الإسلامية، والدفع إلى إحياء الوثنيات والأساطير واستخدام اللغة العربية بأساليب وتراكيب غريبة عجيبة لم تكن معروفة عند العرب في صدر الإسلام، ولم تخطر لهم على بال، وهم العرب الأقحاح، أهل اللغة والبيان، كل هذا من ثمرات الشعوبية الحاقدة على أمة الإسلام.

المبحث الثاني

الشعوبية وأثرها في نشأة الفرق المنتسبة للإسلام

الحديث عن أثر الشعوبية في الفرق المنتسبة للإسلام أمر لا بُدَّ منه في زماننا هذا، وفي مثل هذا البحث؛ لأن قادة هذه الحركة الشعوبية في صدر

الإسلام وحتى هذا اليوم هم من أبناء المجوس الفرس، ومن مال معهم من أنصار الشعوبية الحاقدة من الأمم والأجناس الأخرى، وكل العلماء الذين عرّفوا الشعوبية قديماً وحديثاً يُجمعون على كرهها للعرب المسلمين الأوائل، وأنها تسعى لتقويض الدولة الإسلامية، وإقامة دولة عالمية للمجوس مقامها، وأشير هنا إلى أثر الشعوبية في أفكار وعقائد بعض الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام بشيء من الاختصار، وعرض بعض الأمثلة؛ لبيان تأثير الشعوبية في تلك الفرق وما شابهها.

فمن البداية قامت حركات معادية للعروبة والإسلام في محاولات لتقويض هذا الصرح بشتى الوسائل وأول نجاح لتلك المخططات كان من أولئك النفر الذين تآمروا لاغتيال الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الذي قوض إمبراطوريتهم ومزقها، فكانت المؤامرة من قبل المجوس واليهود والنصارى وبعض الوثنين، ونُفذت بيد أبي لؤلؤة المجوسي الذي يعظمه ويحتفل الرافضة به إلى اليوم، والرافضة تأتي على رأس الفرق التي بُنيت قواعدها على الشعوبية والغلو المزعوم في أهل بيت النبوة ودعوى الولاء لهم، وسب وبغض وتكفير معظم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والقول بالنص والوصية المزعومة بالإمامة للأئمة المعصومين، والقول بالرجعة وغيرها من العقائد التي ترجع في حقيقتها إلى ديانات سابقة، كما شهد بذلك علماؤهم. يقول النوبختي: «وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن

نون بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذه المقالة، فقال في إسلامه وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمثل ذلك في علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض»[1]، وأقول: هذا نص ينقله أحد علماء الرافضة من القرن الثالث الهجري، عن جماعة من أهل العلم من أصحاب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكونهم جماعة لا يتواطؤون على الكذب، وأهل علم ينفي عنهم الجهل، ومن أصحاب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تنفي عنهم العداوة والتحامل على أمير المؤمنين وشيعته، نقلوا لنا أصل مقالة الرفض، وأن أول من شهر القول بها لدعوى الوصية والإمامة وما تبعها في المقالة هو ابن سبأ اليهودي، وهذه شهادة جلية في بيان أثر الشعوبية في نشأة الفرق التي تعاني منها الأمة إلى يومنا هذا.

وقد عمل الشعوبيون على نشر فكر حركتهم في أوساط العامة والجهال، وقصدوا ضرب العروبة والإسلام والطعن على رجالات الإسلام البارزين، وهم من العرب الخُلّص، فقاد الأعاجم واليهود هذه الحركة وألصقوا في آل بيت النبوة ما ليس فيهم، من الأمور الشركية، والبدع، والكذب، وهم براء

(١) فرق الشيعة، للحسن النوبختي، ص٢٢ - ٢٣ دار الأضواء: بيروت، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

منه براءة الذئب من دم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وللأسف لكثرة كذبهم، وطول الزمن، وجهل كثير من عوام المسلمين بتلك الدسائس المكذوبة على أهل بيت النبوة؛ صدّق بعضهم دعوى عبد الله بن سبأ اليهودي التي قامت على الوصية بالإمامة لأمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والتي تأسست عليها عقائد الرافضة الأخرى من الطعن في الصحابة، وعلى رأسهم الثلاثة الخلفاء من قبله، ثم تكفير الصحابة رضوان الله عليهم لعدم تنفيذ وصية النبي ﷺ، هكذا زعموا ورتبوا العداء للمسلمين العرب على هذا ثم غلا هؤلاء حتى وصلوا لدعوى أُلوهية أمير المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم تقديس أشخاص من أهل البيت -الأئمة الاثني عشر- ووصفوهم بأوصاف الرب، في محاولة جادة لإدخال بعض معتقدات أبناء فارس المجوس والوثنيين في ملوكهم وأبناء ملوكهم، وأن دماءَهم غير دماء بقية البشر، لتكون عند أهل الإسلام في آل البيت في تربتهم وطينتهم، بل وتفضيل التراب الفارسي على غيره، يقول ابن العربي المالكي: «ولما قامت دولة العباسيين قالت العباسية: هو أبو النبي ﷺ، وأولاهم بالتقديم بعده، وطوّلوا في ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره؛ لدنائته، ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها لعظيم الافتراء فيها، وأكثر المُلحدة على التعلق بأهل البيت، وتقدمة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، على جميع الخلق، حتى أن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأساً من يقول: إن علياً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو الله، والغُرابية يقولون: إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد ﷺ، حميّة منه معه، في كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيوف، فأما دفء المناظرة فلا

يؤثر فيه»[١].

وفي بيان دور السبئية في التأليب على أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول الإمام الطبري: «ولما نظم السّبائيون حركة الإشاعات، وصاروا يرسلون الكتب من كل مصر إلى الأمصار الأخرى، بالأخبار الكاذبة = أشار الصحابة على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بأن يبعث رجالاً ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بحقيقة الحال، تناسى عثمان ما كان من عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرسله إلى مصر والتف حوله السّبائيون ليستميلوه إليهم، فتدارك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعامله في مصر هذا الأمر، وجيء بعمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المدينة مكرماً»[٢]، وعاتبه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قدم عليه فقال له على ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: «يا أبا اليقظان قذفت ابن أبي لهب أن قذفك.... وغضبت عليّ أن أخذت لك بحقك وله بحقه، اللهم قد وهبت ما بيني وبين أمتي من مظلمة، اللهم إني متقرب إليك بإقامة حدودك في كل أحد ولا أبالي، اخرج عني يا عمار[٣]»[٤]، ثم تولدت

---

(١) العواصم من القواصم، بتحقيق محب الدين الخطيب، ص٢٥٨ - ٢٥٩ ط١، دار الكتب السلفية: مصر، ١٤٠٥هـ.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٩٩.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج٧ ص٤٢٩.

(٤) يقول شيخ الإسلام في بيان ما كان بين عثمان η، ومن تكلم فيه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: «وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل من كل من تكلم فيه، هو أفضل من ابن مسعود، وعمار، وأبي ذر، ومن غيرهم من وجوه كثيرة كما ثبت ذلك بالدلائل، فليس =

عن الرفض طوائف الباطنية، وكل من أراد أن يكيد للإسلام أظهر الرفض وتستر بدعوى حب أهل البيت.

من هذه النصوص وغيرها يتبين كيف تغلغلت الشعوبية وأثارت حفائظ نفوس بعض الرعيل الأول، وزرعت بذور الفتنة فيما بينهم، واستمر المخطط ومن أيام الخلافة الراشدة إلى زمن الدولة البويهية في القرن الرابع الهجري الذين أسسوا لدولة الرفض في بلاد فارس وما حولها، وقد سطر لنا التاريخ ما أحدثه تحالف نصير الدين الطوسي وابن العلقمي مع هولاكو المغولي، وما أحدثه من قتل الخليفة وخاصة رجاله وعامة المسلمين، وتدمير البلاد ونشر الفساد بطريقة تدل على حقد عظيم على الإسلام والمسلمين(١)، ثم يذكر علي شريعتي(٢) تحالفاً آخرَ من قبل الدولة الصفوية لا يقل عن الذي ذُكر، فيقول: «من القضايا الواضحة وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمسيحية حيث تضامن الاثنان لمواجهة الإمبراطورية الإسلامية العظمى التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي إبان الحكم العثماني، وشكلت خطراً جدياً على

=

جعل كلام المفضول قادحاً في الفاضل بأولى من العكس»، ينظر منهاج السنة النبوية، ط:دار الكتب العلمية: بيروت، ج٣ ص١٩٢ - ١٩٣. أقول: وإن قال أحدهما للآخر ما قال: (فكلاهما من أهل الجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

(١) انظر: البداية والنهاية، حوادث سنة ٦٥٦ هـ.ج١٣/ ٢١٣ - ٢١٦، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٢) علي شريعتي، فيلسوف من الرافضة المعاصرين، كان مع الشاه ثم اختلف معهم، فسجن مرات، وجد مقتولاً في شقته قبل الثورة بعامين، في لندن، ١٩٧٧م.

أوروبا، فعمدوا إلى تقريب التشيع من المسيحية حتى يُتيقن بأن كلب المسيحي الإفرنجي أطهر من السُنة»[١]، وهو تحالف مع أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم ضد الخلافة الإسلامية، وعمل جاد لإسقاط الخلافة والأمة الإسلامية، وقد تحقق في عصرنا هذا أن تحالفت دولة آيات العجم في إيران مع الأعداء ضد الأمة الإسلامية وأهل السنة، وعقدوا التحالفات المعلنة والسرية للتآمر على أهل السنة، في كل من لبنان والعراق وسوريا واليمن وغيرها؛ لإسقاط حكومات أهل السنة في البلاد العربية الإسلامية.

وأسسوا الحركات والأحزاب الرافضية التي تعلن الولاء لدولة إيران بكل وضوح وجلاء، وتسعى لإسقاط حكامها وتحقيق الحلم الذي تسعى لتحقيقه حكومة إيران الشعوبية الرافضية فقاموا بتأسيس حزب الله اللبناني بزعامة حسن نصر الله، وكذلك حزب الله في الحجاز بزعامة هاشم الشخص، ورفع شعار تحرير الحرمين الشريفين، وهكذا فعل كل من حزب الله في الكويت بزعامة عباس ابن نخي، ومنظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية بزعامة حسن الصفار، وجبهة الثورة الإسلامية لتحرير البحرين بزعامة هادي المدرسي، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بزعامة محمد باقر الحكيم[٢]، هذه الحركات والأحزاب تعمل على تحقيق هدف الشعوبية الفارسية في المنطقة بكل جد وولاء وإخلاص.

---

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص٢٠٦.

(٢) انظر: حزب الله اللبناني في الميزان، ص٥٦.

❑ أثر الشعوبية في الفرق الباطنية:

إن أثر الشعوبية في وجود الفرق الباطنية يظهر جلياً من البداية، يقول الغزالي: «مما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة، فإن مساقها ينقاد إلى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين، ولكن تشاور جماعة من المجوس، والمزدكية، وشرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من إنكار الصانع وتكذيب الرسل، وجحد الحشر والنشر، والمعاد إلى الله في آخر الأمر»[1]، وعلى قاعدة: يكفي من الشر سماعه، وهروباً من التطويل في هذا البحث المختصر أكتفي بشهادة الغزالي، ونقله لإطباق علماء المقالات والفرق وشهادتهم على المؤسسين لقواعد فكر الباطنية، وأنهم أخلاط من الشعوبيين الحاقدين تدثروا بالرفض وأبطنوا الكفر المحض، وما قام به الباطنية من فظائع القتل والتنكيل، وغزوهم الكعبة وقتلهم الحجيج يوم التروية، وتدنيسهم للبيت الحرام واقتلاعهم للحجر الأسود، ومحاولة صدهم الناس عن البيت الحرام مروراً بما عُرف عنهم من السخرية بأركان

---

(١) فضائح الباطنية، للغزالي. تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي ص١٨ ،مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت – ط١ ١٣٨٣هـ

الإسلام، واستبدالهم القران الكريم بكتب سرية تخدم أفكار الشعوبية، وتصرف الناس إلى طقوس وديانات يعظمها الشعوبيون، فإن لم يكن هذا، فالتشكيك بمفاهيم دين الإسلام وزعزعتها في نفوس المسلمين، أو حتى ينسلخوا من الدين بالكلية.

المبحث الثالث

تحالف الشعوبية مع أعداء الإسلام

إن وجود الشعوبية في الأمة وتظاهرهم بالإسلام لا مثيل له عند الأمم الأخرى، ويمكن أن يقال: إنهم صنف من أصناف المنافقين، فالخلاف في الأمم السابقة يكون سياسياً أو مذهبياً واضحاً، أما الشعوبية في الأمة الإسلامية فإنها تسعى للتخريب من الداخل وباسم الدين، وهذا خطر خفي لا يتنبه له كثير من الناس، خاصة وهم يستعملون نصوص القرآن والسنة لتشويه الإسلام وقلب مفاهيمه رأساً على عقب، فإذا سنحت لهم الفرصة لا يترددون في عقد أي تحالف مع أعداء المسلمين للانقضاض على الأمة، ومن شواهد التاريخ التي لا تنسى تحالف المجوسي الشعوبي الرافضي الحاقد، نصير الدين الطوسي -بل نصير الكفر- وابن العلقمي مع هولاكو التتري ضد الأمة الإسلامية وخليفة المسلمين في وقته، يقول ابن القيم: «وهل عاثت سيوف المشركين من عُباد الأصنام من عسكر هولاكو وذريته إلا من تحت رؤوسهم؟ وهل عُطلت المساجد وحُرقت المصاحف وقُتل علماء المسلمين

إلا بسببهم؟»[١]، وما أشبه الليلة بالبارحة، ففي العصر الحديث تحالفت حركات وطوائف نشأت في أحضان المستعمر، وتحت رعايته وعنايته، ويظهر من أفكارهم وما يدعون إليه التطابق شبه التام مع الشعوبية القديمة، مما يؤكد وحدة الفكر والهدف واستمراره، وأنه لم يتغير عبر التاريخ.

وشاهد ذلك ما وثق من المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين كل من: الإمامية، والقاديانية، والبهائية، والأغاخانية، وبين المستعمر الغربي، وهو أعظم شاهد على أن الشعوبية مع كل عدو ضد الإسلام والعرب، فالدول الغربية ما زالت ترعى وتحفظ هذه الطوائف والجماعات، ومراكزهم الكبرى في لندن، وباريس، ونيويورك، وفلسطين المحتلة، يرعاهم العدو المحتل[٢]، ليكونوا خناجر مسمومة في خاصرة الأمة الإسلامية والعربية، ولتقويض الدول الإسلامية العربية وسيطرة الدولة العالمية الفارسية الموعودة، وهذه شواهده في لبنان والعراق وسوريا وغيرها من المناطق الإسلامية العربية، فأحدثوا ما أطلقوا عليه اسم الربيع العربي، لم تر منه تلك الدول إلا المزيد من الفرقة والضياع والموت والدمار والخراب على مرأى ومسمع من العالم، وما زال هؤلاء حتى اليوم يتحالفون مع أعداء الأمة جهاراً نهاراً.

---

(١) مدارج السالكين، ج ١ ص٧٢.

(٢) للاطلاع على تفاصيل علاقة هذه الطوائف الشعوبية الباطنية الملحدة بالعدو المستعمر ينظر الكتب الآتية: القاديانية، كتاب البهائية، كتاب الإسماعيلية تاريخ وعقائد، كلها لإحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الرابع

الشعوبية وأثرها في نشر الإلحاد في المجتمع الإسلامي

الإلحاد في اللغة: الميل[١]، وفي الاصطلاح: يطلق على معنيين؛ الأول: إنكار وجود الخالق، والقول بأزلية المادة وأنها خالقة مخلوقة، والثاني: إثبات وجود خالق، أو صانع، أو آلهة، ولكنها لا تُعنى بشيء من حياة الخلق، فهي مُوجدة للخلق، لكنها تركت التصرف في الكون، وتفرغت في حياتها المثالية. والناظر في فكر الحركات والجماعات الإلحادية المعاصرة يرى بوضوح أثر الشعوبية فيها، بل أن أعداء الإسلام صنعوها في أثناء الاستعمار على أسس شعوبية عنصرية، تنتهي إلى الإلحاد وترسيخه في نفوس من يؤمن بها، مثال ذلك: القاديانية في الهند وما تفرع عنها من جماعات، والبهائية في إيران ثم العراق ثم فلسطين برعاية وعناية التاج البريطاني، وطائفية الأغاخانية ورثة فكر الباطنية النزارية، كلها حركات فاعلة في المنطقة الإسلامية برعاية وعناية الاستعمار الكفيل والراعي الدائم والسيد المطاع من قبل هذه الطوائف التي تدين له بالولاء والسمع والطاعة، وهي محسوبة على الأمة الإسلامية، والأعداء يعرفون هذه الطوائف ويعلمون يقيناً أنها مع كل عدو ضد الإسلام والمسلمين، بل إنهم يعدون هذه الطوائف لاستعمالها عند الحاجة لخدمتهم.

والإلحاد هدف من أهداف الشعوبية، التي تسعى لنشره في الأمة، وقد اتخذت وسائل متعددة لتحقيق الإلحاد في الأمة وتشويه العقائد في نفوس

---

(١) القاموس المحيط، (مادة ل ح د).

الناس، بدءاً بمعنى الأُلوهية وتحقيق العبودية لله عز وجل، وكان أسلوب التشكيك من أهم الوسائل التي اتبعها الشعوبيون في محاولة زعزعة العقيدة في قلوب المسلمين، إضافة إلى الطرق الخفية والجلية للوصول لهدفهم المنشود، فسعيهم لا يتوقف للوصول لهذا الهدف. وباسم العقل وحرية التفكير ترجموا ونشروا كتب الديانات الأخرى والفلسفة، وهجموا على النصوص الشرعية في محاولة جادة لصرفها عن المعنى الإسلامي المراد، إلى مفاهيم غريبة وبعيدة عن الإسلام، مثال ذلك: إنكار وجود الباري عز وجل[(١)].

ويوحّد بين الشعوبية والإلحاد الهدفُ؛ فلا تكاد تفرق بينها في هذا، فالشعوبية تدفع أصحابها إلى الإلحاد، والإلحاد يتخذ من الشعوبية وسيلة للوصل إلى غايته، فالصلة وثيقة بين الشعوبية والإلحاد، تتضح هذه الصلة من خلال قول الأصمعي[(٢)] في شأن البرامكة حماة الشعوبية:

إذا ذُكِرَ الشِّركُ في مجلسٍ ... أضاءت وجوهُ بني برمكِ

وإن ذُكِرَتْ عندَهم آيةٌ ... أتوا بالاحاديثِ عن مزدكِ[(٣)]

---

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي، ص١٨ - ١٩، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل، ط: مؤسسة دار الكتب الثقافية: الكويت.

(٢) عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، وأبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة اللغة والأدب،.... ولد بالبصرة سنة ١٢٢هـ، وتوفي بها ٢١٦ هـ، انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط:١، ٢/ ١١٢ - ١١٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨٣، والأعلام ٤/ ٨٦٢.

(٣) انظر: المعارف، لابن قتيبة، ص٣٨٢.

ولأن الشعوبية أيقنوا أن قوة المسلمين نابعة من التمسك بالإسلام والقرآن، حرصوا على نشر الإلحاد؛ لصرف المسلمين عن سر النصر والتمكين والقوة التي لا تقهر، بل هي أقوى من كل أسلحة الدمار التي بأيدي أعدائه، يقول وزير المستعمرات الفرنسي لما أخرج أهل الجزائر المستعمر الفرنسي: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!»[1]، لهذا تحول أعداء الأمة الإسلامية إلى ما يسمى بالغزو الفكري، وللأسف؛ في هذا العصر وجدت أقلام كثيرة غير المستشرقين من اليهود والنصارى والملاحدة الغربيين، أصحابها من أبناء جلدتنا ويتكلمون باللسان العربي، بل أظهروا الإسلام، وفاحت من أفواههم ومن تحت أقلامهم رائحة الإلحاد والعداء للإسلام والمسلمين، وجُندوا لخدمة أعداء الأمة من داخلها، وهؤلاء تتلمذوا على فكر الراوندية الذين ظهروا في زمن أبي جعفر المنصور بعد مقتل أبي مسلم الخراساني الشعوبي، وما زال إلحاد ابن الراوندي يدرس في جامعات الغرب (السربون) وأمثالها، ويصنع فيها تحت مسمى كراسي إسلامية من المبتعثين العرب من يحمل لواء الإلحاد في هذا العصر لتبتلى به الأمة من جديد.

وهذه مجرد إشارة لالتقاء خط الإلحاد مع الشعوبية فيما ينطويان عليه من حقد شعوبي ضد الإسلام والعرب، والسعي لنسف الكيان الإسلامي عن طريق هدمه من الداخل.

---

(١) دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، لجلال عالم، ط٢، ١٣٩٥هـ، ص٥١.

المبحث الخامس
الحكم على الشعوبية

بين يدي كلام أهل العلم في الحكم على الشعوبية أشير إلى حكم أهل السنة على المخالف، ومسألة الحكم بالكفر من عدمه، وهي مسألة خطيرة وعظيمة، زلت أقدام كثير من أهل الأهواء والبدع عندها وعلى رأسهم الخوارج، وبها استحلت دماء المخالفين وأعراضهم وأموالهم.

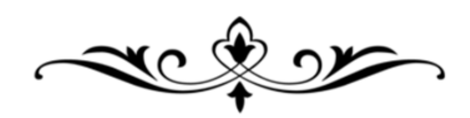
ولو فهم كثير من الناس مسألة التكفير على وجهها الصحيح، لحفظت كثير من الدماء والأعراض والأموال، وأهل السنة في هذه المسألة وسط بين أهل الإفراط والتفريط، بين المرجئة الذين لا يكفرون أحد، والخوارج ومن وافقهم الذين كفروا المخالفين لهم، بل كفّر بعضهم بعضاً، وأهل السنة كما بيّن الإمام الطحاوي: «لا يكفرون أحداً بذنبٍ حتى يستحله»[1]، ويفرقون بين الفعل والفاعل والقول والقائل، فقد يكون القول أو الفعل كفراً، والقائل أو الفاعل ليس بكافر لمانع يمنع تكفيره، والشروط التي يحكم بها أهل السنة والجماعة تطبق على كل أحد، والشعوبيون يندرجون ضمن هؤلاء، فقد يكون عندهم نوع من الشعوبية ونزعة عنصرية، لكن لا تصل إلى حد الكفر، مع ما هم عليه من بدعة شنيعة وخطر عظيم.

أما مبادئ الشعوبية التي قامت عليها فهي كفر وإلحاد لا شك فيه، تتدرج

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٣٢، تحقيق د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ. ومراده هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كبائر الذنوب (كالزنا وشرب الخمر).

بمن يؤمن بها حتى تخرجه من دائرة الإسلام بالكلية والعياذ بالله، وتحت عنوان (بغض العرب سبب لفراق الدين) يقول شيخ الإسلام ابن تيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وهذا دليل على أن بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر، أو سبب للكفر»[1]، وتحت عنوان (تفضيل العجم على العرب يرجع إلى نوع نفاق) يقول: «والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق، إما في الاعتقاد وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس».



(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٢٠٣.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي أردت أن أشير من خلاله إلى المعنى الواسع للشعوبية، وأنها تتشكل في كل وقت حسب الظروف المحيطة، وكذلك تسلك الطرق المتاحة، وتلبس لكل زمن لباسه المناسب، وتسبح مع التيار عند الخوف من المخالفين، فهي فكر منافق خبيث يعمل ضد الأمة في كل المجالات المتاحة عبر العصور، ويجدد من أساليبه وطرقه، وهذا الفكر الشعوبي ضارب في أعماق تاريخ الأمة وله جذوره، مما يوجب على أبناء الأمة الإسلامية الحذر واليقظة، والدفاع عن ثوابت هذا الدين وأصوله ومقوماته ومفاهيمه العظيمة، خاصة طلاب العلم الذين يحملون مسؤولية الذب عن الحق وإظهاره، وهتك ستر الباطل ودحره وكشف عواره، حتى لا يروج في هذا العصر بين أوساط الجهال من المسلمين، وينبغي أن يكون ذلك بأسلوب مختصر يؤدي الغرض المراد دون سآمة أو ملل. وأشير هنا إلى أن الشعوبية دخلت في معظم المجالات العلمية والعملية، واستطاع الشعوبيون استغلال المجال السياسي والثقافي والاجتماعي وغيرها؛ لنشر ما يرون من فكر، بل وجعلوه إرثًا مستمراً في التكوين الاجتماعي والثقافي بحيث يروج عند عامة الناس، ويكون مألوفًا لا ينكر، وكأنه من أصل تكوين الأمة الإسلامية العربية، كمجالس السمر، والسكر، والرقص، والولع بحب الغناء والجنس، والشذوذ، وغيرها، من الأمور الساقطة، التي يترفع المسلم الصادق عن مثلها. وأن كل مبحث من مباحث هذه الدراسة

يحتاج إلى توسع وبسط في دراسات علمية تخدمه من جميع الجوانب، أما هنا فمرادي الإشارة إلى تأثر هذه الجوانب والاتجاهات والطوائف بفكر الشعوبية، أو أنها هي من صنعت ذلك الفكر أو تولد عنها، وتبين أن الطوائف التي أشرت إليها -وهي قديمة أو معاصرة حديثة- جلها أنشئت من قبل أعداء الإسلام على قواعد وجذور الشعوبية التي أثبتت قدرتها واستمرارها على الولاء والطاعة لكل من يريد كيد الإسلام والأمة الإسلامية العربية.

وتأكد من خلال البحث أن جل المصائب التي نزلت على الأمة في هذا العصر إن لم تكن كلها من قبل الشعوبية؛ فإن لهم اليد الطولى في دعمها وتأييدها، وأن من يزعم أن الشعوبية كانت ثم زالت، ولم يعد لها وجود، قد جانب الصواب ولم يعلم أن لكل قوم وارث.

وأسأل الله التوفيق والسداد والعفو عن الخلل والزلل، وأن يتقبل مني، ويحسن خاتمة القول والعمل.

قائمة المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - **الإسلام والحضارة العربية**، كرد علي، دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.

٣ - **الأعلام**، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط:٧، ١٩٩٠م.

٤ - **اقتضاء الصراط المستقيم**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: المكتبة العصرية، ط:١، ١٤٢٧هـ.

٥ - **البداية والنهاية**، ابن كثير، تدقيق وتحقيق أحمد أبو ملحم ورفاقه، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:٣، ١٤٠٧هـ.

٦ - **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط:١.

٧ - **البيان والتبيين**، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٧٥م.

٨ - **تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط:٤، ١٩٩٠م.

٩ - **تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)**، محمد بن جرير الطبري، القاهرة: المطبعة الحسينية.

١٠ - **التشيع العلوي والتشيع الصفوي**، علي شريعتي، ترجمة حيدر مجيد، تقديم إبراهيم الدسوقي، دار الأمير للثقافة والفنون.

١١ - **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، القاهرة: دار الشعب.

١٢ - **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الله

ابن محمد بن عبد الوهاب، الرياض:رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٣- **الجامع الصحيح**، سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

١٤- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، أبو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية،ط٢.

١٥- **الجذور التاريخية للشعوبية**، عبد العزيز الدوري، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م.

١٦- **حزب الله اللبناني في الميزان**، علي نايف الشحود، الموسوعة الشاملة.

١٧- **دمروا الإسلام وأبيدوا أهله**، جلال عالم، ط:٢، ١٣٩٥هـ.

١٨- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، بيروت:دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٠٨هـ.

١٩- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت:مؤسسة الرسالة، ط:٧، ١٤١٠هـ.

٢٠- **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

٢١- **الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية**، عبد الله سلوم السامرائي، بغداد:المؤسسة العراقية للدعاية والنشر.

٢٢- **الشعوبية المعاصرة**، جهاد الفاضل،طرابلس ليبيا:الدار العربية للكتاب، ١٤١٠هـ.

٢٣- **الشعوبية والأدب**، خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار النضال، ط:١، ١٩٦٨م.

٢٤- **الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة**، حسن حميد الغرباوي، بغداد:دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٣م.

٢٥- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، القاهرة: جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٢١هـ.

٢٦- **صحيح الترغيب والترهيب**، الحافظ المنذري، تحقيق الألباني، بيروت:المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

٢٧- **ضحى الإسلام**، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١، ١٩٣٤م.

٢٨- **العواصم من القواصم**، بتحقيق محب الدين الخطيب، مصر:دار الكتب السلفية، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٩- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، بيروت: دار الفكر.

٣٠- **فرق الشيعة**، الحسن النوبختي، بيروت:دار الأضواء، ط:٢، ١٤٠٤هـ.

٣١- **فضائح الباطنية**، الغزالي.تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، الكويت:مؤسسة دار الكتب الثقافية، ط:١، ١٣٨٣هـ.

٣٢- **الفهرست**، ابن النديم، بيروت:دار المعرفة للطباعة والنشر.

٣٣- **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٧هـ.

٣٤- **كتاب الحيوان**، عمرو بن بحر الجاحظ، بيروت:دار الكتب

العلمية، ١٤٣٤هـ.

٣٥- **لسان العرب**، جمال الدين بن مكرم ابن منظور، بيروت:دار صادر.

٣٦- **مدارج السالكين**، ابن قيم الجوزية، بيروت:دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٧- **مسند الطيالسي**، أبو داود الطيالسي، بيروت:دار المعرفة.

٣٨- **المعارف**، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تحقيق محمد بن إسماعيل الصاوي،بيروت: ط:٢.

٣٩- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥.

٤٠- **الملل والنحل**، الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، بيروت:دار الفكر.

٤١- **منهاج السنة النبوية**، شيخ الإسلام ابن تيمية، بيروت:دار الكتب العلمية.

٤٢- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الرياض:الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط:٤، ١٤٢٠هـ.

٤٣- **ميزان الاعتدال**، شمس الدين الذهبي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤٤- **الوزراء والكتاب**، محمد بن عبدوس الجهشياري، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨م.

فهرس المحتويات